مؤشّر التّغيّرات الفكريّة والتّكنولوجيّة في صناعة المعجم بالجزائر

Title in English Index of intellectual and technological changes in the dictionary exicography in Algeria

هشام فرّوم[1]*، عيسى مومني[2]

[1] جامعة الشاذلي بن جديد (الجزائر)، hichamferroum@gmail.com

[2]جامعة الإخوة منتوري (الجزائر)، aissa_24@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:2021-08-17 تاريخ القبول: 2022-10-29 تاريخ النشر: 2022-12-27

ملخص:

شهد المعجم في السنوات الأخيرة تدخلا متصاعدًا مستمرًا لوسائل الحضارة، ومنها الحاسوب في جميع مراحل إنتاجه، وكان توجّه المعجم نحو تنفيذ عملي سيطر فيه الناسخ الإلكتروني من جمع المادّة إلى الطباعة. فهل يعد بناء المعاجم الإلكترونيّة وليد التغيّرات الفكريّة، والتكنولوجيّة، والتجاريّة التي رافقت صناعة المعجم في العصر الحديث؟ وهل توجد فروقات جوهريّة بين مصنّف المعجم الأكاديميّ، والمصنّف التجاريّ، وبين صناعة المعاجم الصّرفة وفروع اللغويات، وبين تقاليد صناعة المعاجم القوميّة المختلفة؟

كلمات مفتاحية: معجم، قاموس، حاسوب، صناعة المعاجم.

Abstract:

In recent years, the lexicon has witnessed a continuous escalating interference with the means of civilization, including the computer at all stages of its production.

Is the construction of electronic dictionaries the result of the intellectual, technological, and commercial changes that accompanied the lexicon industry in the modern era? Are there essential differences between the

* المؤلف المرسل_ هشام فرّوم

academic lexicon classifier, the commercial classifier, the pure lexicography industry and linguistics branches, and the various national lexicography traditions?
Keywords: Dictionary; Dictionary; computer; Dictionary.

1. مقدمة:

إن الحديث عن صناعة المعجم؛ هو حديث عن بناء ذاكرة للغة، وهو ما يطرأ عليها من تغير في البنية والدلالة والاستعمال والتصورات الفكرية والعلمية التي عرفتها الأمة. وهذا ما نعرض له في التغيرات الفكرية والتكنولوجية في الصناعة المعجمية، والتيارات والتصورات لصناعة المعجم في العالم، وصناعة المعجم في الجزائر، ومدى انفتاحه على الناسخ الالكتروني وتقنيات المعجم والمعجمية في ميدان التطبيق.

2. أثر التغيرات الفكرية، والتكنولوجيّة، والتجاريّة على الصناعة المعجميّة:

لقد أصبحت التطبيقات الحاسوبية متاحة في جميع مجالات الحياة منذ عام 1948م فكان مختبر جامعة "جورج تاون" أول مختبر أخرج منهجا في الترجمة الآلية. (الوعر، 1988، صفحة 407) ومن خلال مؤتمرات في العالم العربي في بداية الثمانينيات بدأ التقاطع بين علم الحاسوب وعلوم اللسان، وكانت الكويت سباقة إلى عقد مثل هذه المؤتمرات أهمها استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي 1985م. (صالح، 2007، صفحة 233، 234)

وبدأ الجانب التطبيقي في بناء نظام معالجة اللّغة العربية لإدماج المعارف الصوتيّة، والصرفيّة، والنحوية والدلاليّة في هذا النظام، وهو ما يظهر في الجهود التي قام بها "نهاد الموسى" في إقامة الفرق بين وصف اللغة وتجريد أمثلتها، وضبط أحكامها، وحين يكون مصمما ليودع في الحاسوب. فسمّى ما يعمل للإنسان بالوصف، وما يُعمل للحاسوب بالتوصيف. (الموسى، 2000، صفحة 69، 70) وهكذا أصبح الحاسوب متاحا للإفادة منه، مع تميّز النظريات اللغوية في العصر الحديث بسرعة كبيرة فاقت حركة سير المعجمات التي تحتاج لسنوات كثيرة لإنجازها. لهذا اشتكى "ماركورت" من قلة تطبيق المبادئ اللغوية على المعجم الإنجليزي بقوله" لا يظهر أثر لمبادئ المدرسة البنيوية في هذا المعجم بأي شكل مطّرد فالكلمات تصنف بطريقة تقليدية إلى أسماء، ونعوت، وأفعال... وليست هناك محاولة لاتباع مخطط يقوم إما على الهيئة أو على الوظيفة في تصنيف المفردات؛ إنه معجم كلمات وليس معجم مورفيمات. وأرى أنه يصعب العثور على مجرد تلميح للاتجاه البنيوي في معالجة التعاريف". كما لاحظ "فاين رايش" أن معجم

"ويستر" الدولي الثالث الذي يعد من أرفع المعجمات الإنجليزية لا يتمخض إلا عن حفنة تراب من النظرية اللفظية. (القاسمي، 1991، صفحة 4، 5) وهذا ما يعرف بالفجوة بين النظريات اللغوية التي ظهرت حديثا والتطبيقات المعجمية؛ التي تتضح في منجزات الدرس اللساني الحديث المثقل بنظرياته المتسارعة والتي لم تتوفر لها إمكانية التطبيق، والتؤدة التي يستغرقها إنجاز معجم قد تصل إلى سنوات كثيرة. وقد يستغرق تصنيف المعجم القيم عشرات السنوات أو أكثر ويجد المعجمي في نهاية المطاف أن النظرية التي بنى عليها عمله قد أمست قديمة". (القاسمي، 1991، صفحة 8، 9، 10) ومن ثم بقي المعجم يراوح في قضيتين اثنتين هما قضيتا الجمْع والوَضع، أي الرصيدُ المعجمي المدوّن في المعجم والمنهجُ المتبَعُ في تقديمه. وهو ما ذكره ابن منظور في مقدّمة معجمه "ورأيت علماءَها بين رجلين؛ أما من أحسن جمعَه فإنه لم يُحسن وضعَه، وأمَّا من أَجاد وَضْعَهُ فإنه لم يُجِدْ جَمْعَهُ فلم يُفِدْ حُسْنُ الجَمْعِ مع إِسَاءَةِ الوضْع، ولا نَفَعَتْ إِجَادَةِ الوَضْعِ مع رَدَاءَةِ الجَمْع". (منظور، د ت، صفحة 11) غير أن هذا لم يمنع من الاستفادة من قضايا لسانية متفرقة كالتزامني والتعاقبي في المعجم، والوصفي والمعياري، والنظمي والاستبدالي، والبنية السطحية والبنية العميقة في المعجم، إلى غير ذلك من المصطلحات التي نعرض لها في صناعة المعجم الحديث. (مومني، 2017، صفحة 133، 134)

وإن اختلاف الدافع الرئيس لظهور المعجمات من حضارة لأخرى، (القاسمي، 1991، صفحة 3، 4) يبرز في جهود ترسي أسس معجمية تكشف عن ثراء الخطاب المعجمي من حيث كونه مشغلا لمؤسسات علمية، وتربوية باعتبار أن المعجم هو الوجه المطبق للمعجمية يمثل في الذهنية العامة خزانة اللغة والآداب والعلوم. (الحمزاوي، 2004، صفحة 15)كما تدفع إلى ربط الرصيد المفهومي المعجمي العربي بالرصيد المفهومي المعجمي الحديث قصد فرز الأصيل من الدخيل والإفادة مما نحن في حاجة منها إليه. (الحمزاوي، 2004، صفحة 9) وعلى الرغم من قدم الأعمال المعجمية فإن الاهتمام بالعمل المعجمي الحديث قد ظهر مع مطلع القرن الثامن عشر حينما ظهر جدولان مستقلان أحدهما غربي، والآخر عربي. أما الجدول الغربي فقد شق طريقه حين كتب (بايلي، وجونسن) معاجمهما، ووضعا الأسس التي ينبغي أن تتبع في صناعة المعجم، وأما العربي فقد مهد له ابن الطيب الفاسي (1110 هـ / 1298 هـ. 1170 هـ / 1756 م) في أعماله المعجمية المتعددة، وبخاصة في عملية (شرح كفاية المتحفظ)، و(إضاءة الراموس)، مما أذكى الهمم، وأوجد نهضة معجمية عربية خلال القرن التاسع عشر كان من روادها: أحمد فارس الشدياق، وإبراهيم اليازجي، وأنستاس الكرملي وغيرهم. (عمر، 2008، صفحة 28)

وجاءت نظرية الحقول الدلالية فردت العمل المعجمي إلى حظيرة علم اللغة كفرع من فروع اللسانيات التطبيقية بعد ما أهمل التركيبيون الأمريكيون صناعة المعجم في القرن العشرين ووجهوا اهتمامهم إلى فروع أخرى مثل الفونولوجيا والنحو. وقد ظل كثيرون ينظرون إلى المعجم على أنه ملحق بالنّحو، أو قائمة من الاستثناءات الأساسية. (القاسمي، 1991، صفحة 6)

وإذا كان الدرس العربي سباقا في صناعة المعجم في الماضي فقد وجب اليوم دعمه بآليات لغوية ولسانية منهجية جديدة ليتبوأ منزلته من المعجمية المعاصرة التي انطلقت من الكلمة؛ وهي ركن المعجم وجوهره مع الفوارق التي أنزلتها منزلة المفردة أو اللفظة أو القول فهي تمس مستويات الدرس اللغوي، وتنسب إلى مقولة صرفية، أو نحوية، أو معجمية تشي بخطاب فني مفتوح، أو تعدد في وجوه الوحدة المعجمية وثراء بنائها تشهد بتشعب مفهوم الوحدة المعجمية، وما تستوجبه من عناية حتى تُؤسس أداة مركزية للخطاب، ومفتاحا للمدخل المعجمي الذي يظهر من التّعريف في النظرية التوليدية أنه يركز على ثلاثية أساسية مترابطة صوتية فونولوجية، ودلالية، ونحوية. (الحمزاوي، 2004، صفحة 27، 26) وهي مسائل انفتح عليها المعجم الحديث، واستفادت منها اللسانيات الحاسوبية في النمذجة والتوصيف. وإلى جانب الجهود الفردية يأتي عمل الهيئات العلمية المتعاونة، فحمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة عبء هذه الصناعة، ووضع معاجم في أحجام مختلفة؛ فألف المعجم الكبير. ثم أخرج سنة 1960 م "المعجم الوسيط" في جزئين. والذي بدأ بالعمل فيه سنة 1946 ، وأصدر تجربة منه عام 1956 ، وصدر الجزء الأول منه عام 1971 ثم تلته أجزاء أخرى ، وأهم ما يميزه، أنه نتاج جهود الخبراء والمحررين ، ويضم جميع الكلمات العربية الواردة في أمهات المعاجم، وعدم وقوفه عند عصر الاستشهاد واعترافه بلغة العصور التالية، واهتمامه بذكر اصل كل مادة لغوية أو أصولها في اللغات السامية وغيرها، والترتيب الداخلي لمادة المعجم، والاستشهاد على ألفاظ المعجم بنصوص من الشعر والنثر على اختلاف العصور، مع محاولة ترتيبها تاريخيا بقدر الإمكان، وذكر ما لابد ذكره من الأعلام المشهورة للأشخاص والأماكن، واشتماله على كثير من المادة الموسوعية من مصطلحات علمية وألفاظ حضارية. ويقابله في اللغة الإنجليزية معجم "أكسفورد للغة الإنجليزية" في حجمه الكبير (**oxford English Dictionary**). (عمر، 2008، صفحة 50)

3. التيارات والتطورات لصناعة المعجم الحديث في العالم:

تمثل هذه المرحلة ما بعد الستينيات، وتؤرخ للتيارات والتطورات المستقبلية لصناعة المعجم، وتبرز في مشاريع القواميس الكبيرة، والهيئات المشرفة على هذه الصناعة، والمؤتمرات التي عقدت لهذا الشأن، والجهود المشتركة بين دول العالم، والهيئات المحترفة.

1.3 ملامح التنفيذ العملي لصناعة المعجم في الغرب:

لقد شقت مشاريع القواميس الكبيرة طريقها في العالم من خلال اعتمادها على خطط وبرامج مضبوطة تتلخص كالآتي: (كاوي أ.، 1991، صفحة 689، 692)

أ. توظيف اللغويين، ومختصي الحاسوب في صناعة المعجم مثل مشروع "آلان ري في فرنسا:1977م". كما مثلت الدعوة لعقد مؤتمر شارك فيه اللغويون ومصنفو المعاجم في أمريكا حدثا بارزا حصل عام 1960 م " هاوس هولدر وسابورتا: 1962 ".

ب. الاستعانة ببصائر جديدة في الصوتيات أجنبية في منتصف السبعينيات، وتطوير مشاريع مشتركة كبيرة بين الناشرين الأمريكيين، والناشرين البريطانيين "كيرك: 1982م".

ج. عقد المؤتمرات ذات السمة الأكاديمية، فقد عقدت في بريطانيا سلسلة من المؤتمرات ذات سمة عالمية أكاديمية مثلت "هارتمان: 1979 و1983 و1984 و1986، وإلسن 1979، وكاوي 1987.

تأسيس هيئتين محترفتين؛ جمعية شمال أمريكا للمعاجم التي ظهرت دورتيها "المعاجم" لأول مرة عالم 1979م، والرابطة الأوروبية لصناعة المعاجم. وظهرت دورية أخرى "صناعة المعاجم" حيث ظهر أول عددها عام 1985م، وتطبع بالتعاون أو التنسيق مع كل من جمعية شمال أمريكا للمعاجم والرابطة الدورية العالمية لصناعة المعاجم (dsna). وتتمتع دورية ثالثة وهي الدورية العالمية لصناعة المعاجم والتي بدأت نشاطها عام 1988 بصلات أيضا مع الهيئتين المحترفتين. (كاوي أ.، 1991، صفحة 689، 690)

2.3 أهمية هذه التيارات في تصميم محتوى المعجم وشكله:

لقد كشفت هذه التيارات كيف توسعت اهتمامات الباحثين، ودوافع المستخدمين في الرجوع إلى القاموس، وقدمت برامج عملية مفصلة لاستخدام ناجح في التعامل مع القاموس. "وبمجرد أن يدرك المرء أولوية حاجة المستخدم في تصميم محتوى القواميس وشكلها، عندئذ تصبح مسألة توليد أنماط أخرى تختلف عن بعضها البعض وفق خلفية المستخدم اللغوية، وحقله المهني، وطريقة تخاطبه المثلى "الترجمة" أو مستوى اللغة "اللفظ فقط؟ أو التهجئة فقط؟" أمرا مرغوبا، وممكنا تجاريا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار

العبقرية التي أظهرها بعض الناشرين مسبقا في تفريخ عناوين صغيرة في أعمال أكبر موجودة مسبقا. (كاوي أ.، 1991، صفحة 689، 692)

3.3. دور الحاسوب في صناعة المعجم المعاصر:

وفي السنوات الأخيرة أصبح الحاسوب متاحا للإفادة منه في جميع مراحل إنتاجه. وكان صانعو المعاجم الفرنسيين أول من تحرك نحو تنفيذ عملي، ثم اقترحت فيما بعد مراكز أرشيفية لصناعة المعاجم الإنجليزية. وفي عام 1959 صمم "لورنس أردنج"، نظام قاعدة بيانات لترميز كافة العناصر المستقلة في مداخل القاموس، أي: تعليمها برموز خاصة أو "أعلام" (بيلي: 1986). وشكّل ذلك تقدما هاما لأنه سمح بإمكانية الحصول على أي فئة فرعية من المعلومات على سبيل: تصريفات الأفعال الشاذة كاملة للتدقيق أو التحرير المكثّف. كما جعل بالإمكان إصدار، ونقل، مسارد تقنية من مجرد استرجاع مناسب لقاعدة بيانات معجمية فرعية مرمزة "نولز: 1983م". وذلك لا يقل أهمية في مرحلة ثالثة عن سابقيه، على تنفيذ طباعة حاسوبية. (كاوي أ.، 1991، صفحة 393، 394) وهو ما صار شائعا اليوم في نمذجة المعجم ووضع أرضيته.

وهكذا فإن قاعدة البيانات المختارة ستمكن المستخدم من إدخال أو استرجاع الأقسام المتنوعة لصيغة المدخل التي أسسها "ميري" كمعيار للقواميس التي تعتمد أسساً تاريخية: الكلمات الرئيسية، واللفظ، وصنف شكل الكلمة "بيلي: 1986" (كاوي أ.، 1991، صفحة 393).

4.3. المراكز المتخصصة لصناعة المعجم في الغرب:

وعلى إثر هذه المراكز المتخصّصة أنشأت جامعة "اكستر" في عام 1984 مركزا متخصصا بأبحاث صناعة المعجم على الجامعات بل شمل المؤسسات الثقافية، والعلمية الأخرى، ومن أمثلة ذلك الندوة العالمية حول صناعة المعجم التي عقدتها "فولبرايت" في لندن في شهر سبتمبر من عام 1984، ونشرت أبحاثها في كتاب "صناعة المعجم مهنة دولية صاعدة، وتأسست في الولايات المتحدة جمعية المعجم التي تصدّر مجلة متخصصة. (كاوي أ.، 1991، صفحة 689)

لذلك يرى "السن" إن المعجم الحديث يعد مؤشرا للتغيرات العميقة الحاصلة الآن في الظروف الفكرية، والتكنولوجية، والتجارية التي يعمل مصنفو المعاجم تحت وطأتها "ألسن: 1986. (كاوي أ.، 1991، صفحة 689)

ومن إفرازات هذه التغيرات لم تعد هناك فروقات جوهرية في ظل الصناعة المعجمية الحديثة بين مصنّف المعجم الأكاديمي، والمصنّف التجاري، ولا بين صناعة المعاجم الصرفة وفروع اللغويات والحاسوب، ولا بين تقاليد صناعة المعاجم القومية المختلفة. ومن ثم بدأ مصنفو المعاجم يفكرون ويتصرفون بشكل متزايد كأعضاء في مهنة أكاديمية حديثة وباهتمام في النقاش العام حول النظرية والتطبيق وبقنوات معلومات وطيدة وبالتزام في البحث والنشر. "بيلي: 1987" (كاوي أ.، 1991، صفحة 689).

4. صناعة المعجم في الجزائر، ومدى انفتاحه على الناسخ الإلكتروني:

تنطلق معايير صناعة المعجم في الجزائر، وتحديد طبيعته، والخصائص التي يتصف بها، من مقارنته بالمعاجم اللغوية، والمعاجم الموسوعية، والحديث عن مدونته التي تستخدم في الصناعة المعجميّة وطريقة الترتيب، والتعريف فيه. وما انفتح عليه من تقنيات وأدوات من علم اللسانيات والإعلام الآلي والنمذجة. وتنفيذها العملي ينطلق من جمع المادّة وحقائقها، واختيار مداخلها، وترتيب المواد المعجميّة، وكتابة المتن، ونشر المعجم. وأُسُس هذه المعايير جملة من المفاهيم تقدمها اللسانيات، والمعاجم، والمعجميات في وضع المعاجم، وتصنيفها، وصوغ مضامينها.

من ثم فقد حقّق المعجم في هذه النماذج مُعجميّة اللسانيات الحديثة بمجموع علومها: صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وبلاغية، وأسلوبية، كما توفّر له الشاهد، الذي من مهامه، استقصاء المعاني المتعددة، لتمكين كل مدخل من استقلاليته الذاتية تعريفا وشاهدا، وبذلك يحقق العلاقة الموضوعية بينه وبين المداخل القائمة على التّرابط والتّناسق، ترابط في المعنى، وتناسق في السياق. (الحمزاوي، 2004، صفحة 175، 176) وهي قاعدة منهجية ترتبط ارتباطاً عضوياً بماهية التعريف باعتبار القاموس "كتاب ذو طبيعة خاصة، يمتاز بأنه لا يُقرأ من أوله إلى آخره" (البركة، د ت، صفحة 176). وهكذا حُلّت الصعوبة المرتبطة بكيفية تثبيت تدرج توليد المعاني، وأسبقية بعضها بالنسبة إلى بعضها الآخر، وساهم التَّعريف في إيضاح المعاني المختلفة للمفردات الواردة في قائمته، وتبيان دلالتها.

1.4. أول مؤشرات المحاورة في نماذج المعاجم والقواميس المختارة:

تنطلق هذه المحاولة من عناوين لمجموعة من المعاجم أو القواميس المتداولة بكثرة في السوق الجزائريّة، وواسعة الاستعمال بالمدرسة، نذكر منها:

أ. "المنار" قاموس مدرسي للطلاب، عربي عربي، عيسى مومني، دار العلوم عنابة الجزائر.

ب. "الهدى" قاموس مدرسي عربي عربي، إبراهيم قلاتي، دار الهدى عين مليلة، الجزائر.

ج. "القاموس الجديد للطلاب" معجم عربي مدرسي ألفبائي، علي بن هادية، الجيلالي بن الحاج، بلحسن بليش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

د. "مرشد الطلاب" قاموس مدرسي عربي عربي، منشورات المرشد الجزائرية.

هـ. "اللسان الصغير"، قاموس عربي، عبد الهادي ثابت، دار الأمة، الجزائر.

و. "المفتاح" قاموس عَربي أبجدي مبسّط، دار الأمة.

ز. قاموس النجيب، القاموس المدرسي عربي عربي، منشورات نوميديا، الجزائر.

إن الأسس المشتركة في هذه مقدّمات هذه المؤلفات، هي التي قامت عليها القواميس العربية الحديثة واشتركت فيها في الوطن العربي؛ وهو مجاراة العصر، وتحيين المعلومة، وخدمة اللسان العربي، وتسهيل الوصول إلى المعلومة من أقرب طريق. وهي قضايا تشتغل عليها اللسانيات الحاسوبية في جانبها التطبيقي من تخزين المادّة، وإنتاج برامج ذات معرفة باللّغة الإنسانيّة، وتوصيف اللغة للحاسوب ونمذجتها.

لقد ذكر صاحب "المنار" قاموس مدرسي للطلاب، في مقدّمة قاموسه أن هذا القاموس يسعى إلى استيعاب ما تجدد من المعارف، وقام على أساس الاختيار والانتقاء؛ "وهي طريقة لسانية "في النظرية اللسانية السوسيرية، يمثل هذا المفهوم مصطلحا مركزا، يكون فيها التخير على مستوى محور الاستبدال أو التعويض، والتخير الثاني مربوط بالسياق" (الحمزاوي، 2004، صفحة 200). وأضاف إلى المادة اللّغوية ما دعت إليه الضرورة فجعل هذه اللّغة يتصل حاضرها بماضيها. كما حدّد الفئة المستهدفة في هذا المعجم، وطريقة البحث عن الكلمة فيه ليكشف أن للقاموس غايات معرفية، وتربوية، وحضارية. وبعدها أشار إلى طريقة البحث عن الكلمة وما يحدث فيها من تغيير، وأهمية ذكر حركة الفعل المضارع، والبدء بترتيب الأفعال قبل الأسماء، قصد تحقيق معجمية اللسانيات بمجموع مستوياتها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والبلاغية، والأسلوبية. وفي الأخير خلص إلى وضع رموز للقاموس. (مومني، 2008، صفحة المقدمة)

وأشار واضع قاموس "الهدى" قاموس مدرسي، في مقدمته إلى الهدف من قاموسه بقوله: "كثرت في وقتنا الحاضر المعاجم اللّغوية، والمناجد، والقواميس المخصصة لطلاب المدارس، وتنوعت أشكالها، وألوانها، وأحجامها، ولكن حاجة الطالب أو التلميذ إلى قاموس يستوفي مفردات اللغة، ويقدم له شرحها بسهولة ويسر، ما زالت ملحة، لذلك ارتأينا أن نضع بين يديه هذا القاموس المنشود، الذي جمع أكبر

عدد من المفردات اللغوية العربية، ويشرحها بطريقة سهلة ميسورة خالية من الرموز المتبعة. (قلاتي، 1997، صفحة المقدمة)

في حين حَصَر صاحب "اللسان العربي الصغير"، قاموس عربي، هذا الهدف في المنهج المتبع في طريقة ترتيب معجمه. فهو يعرض الألفاظ على حسب نطقها لا على حسب تصريفها واشتقاقها، ومن ثم قَصَر الوظيفة الأساسية للقاموس في الترتيب والتعريف. (ثابت، 2001، صفحة المقدمة)

والهدف عينُه؛ أشاد به مؤلفو "القاموس الجديد" باعتبار أن اللّغة هي اللغة، والرّواية هي الرواية، ويبقى التّرتيب السهل الذي يُبْعِد الصُعوبة التي يعانيها الطلاب في الرجوع إلى المعجم، هو الهاجس لدى مؤلفي هذا القاموس، لذلك فهو يعتمد ترتيب المفردات حسب أحرفها الثلاثة الأولى على نمط "لاروس" الفرنسي. (بليش، 1991، صفحة المقدمة)

وجاء في مقدمة "مرشد الطلاب" أن هذا القاموس " متسق الإخراج، مشكل الحرف، مع طريقة سهلة في استخدامه، كما سيأتي في دليل استخدام القاموس"، من غير أن يضع هذا الدليل. (مدرسي، دت، صفحة المقدمة) وهي، في هذا الأخير، مقدّمة يفترض فيها أن تكون مفتاحا للقاموس، ومثلها ما نجده في مقدمة "المفتاح" قاموس عربي أبجدي" دار الأمة. (الأمة، 1996، صفحة المقدمة)

أما مقدمة "قاموس النجيب"، القاموس المدرسي، فقد جاءت المقدّمة من وضع الناشر، وتحتوي على جدول خاص بالمصادر المعتمدة في القاموس. (نوميديا، دت، صفحة المقدمة) ويستحسن أن تكون للقاموس مقدّمة، وهذا ما درج عليه أصحاب المعاجم منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم العين. غير أنه أُهمل في القواميس الأخرى. وهو ما يشي به خطاب المقدّمة بصورة مباشرة كما في "المنار" قاموس مدرسي للطلاب، ونعثر عليه من خلال التلميح كما في "الهدى" قاموس مدرسي، واللسان العربي الصغير.

وفي الجملة لقد احتفت مقدمات هذه النماذج المختارة من القواميس المدرسية المذكورة بالغايات والأهداف، أهمها البحث عن طريقة سهلة في الترتيب، كما في "الهدى" قاموس مدرسي، و"اللسان الصغير"، والقاموس المدرسي الجديد، و"المفتاح" قاموس عربي مبسط. وصنف آخر، اهتم بترتيب الكلمات من خلال إرجاعها إلى جذورها، والإشارة إلى قوالبها الصرفية، مما يحافظ على خصائص العربية القائمة على الاشتقاق وفلسفة تركيبها. وهو ما توفر في "المنار" قاموس مدرسي، و "قاموس النجيب" القاموس المدرسي عربي عربي.

2.4. حظ هذه المعاجم والقواميس من النظريات اللسانية:

ويتضح من خلال قراءة في خطاب مقدمات هذه القواميس أن الواقع الثقافي الراهن يقتضي أن تكون اللسانيات رائدة العلوم الإنسانية، وإليها يُسند دور صناعة المعجم، وهي آخر ظاهرة من اللسانيات الحديثة، وهو ما تقوم عليه الصناعة المعجمية في الحاضر.

إن المعجم ليس مجرد عملية جرد لمدونات مختلفة، وإنما له وظائف تعليمية، وتربوية، وثقافية، وحضارية، حصرها المعجميون في: ذكر المعنى، وبيان النّطق (ويدخل فيه التقسيم المقطعي وموضع النبر)، وتحديد الرسم الإملائي أو الهجاء، والتأصيل الاشتقاقي، والمعلومات الصرفية والنحوية، ومعلومات الاستعمال، والمعلومات الموسوعية. (عمر، 2009، صفحة 115)

لهذا لا يحق أن نهمل التّرتيب الجذري في القاموس، وهو من الضرورات في العمل المعجمي لبيان أصول الكلمات، وكيفية اشتقاقها. فاللّغة العربية لغة اشتقاقية تقوم على رابطة من الكلمات، وليس من الملائم أن نفرقها فتظهر كالشتات في القاموس، لا لشيء سوى لمحاكاة ترتيب أبجدي يلائم بعض الطرائق الأخرى على نمط "معجم لاروس" الفرنسي، تضيع فيه عبقرية اللغة العربية، وفلسفة تكوينها. فيقضى على أصول الدلالات. ومثل هذه القضايا تغيب على من لا يفقه المعجمية اللسانية بمجموع علومها.

كما نجد بعض القواميس أهملت ذكر حركة فعل المضارعة كما يظهر في "مرشد الطلاب"، وفي "اللسان العربي الصغير"، وفي "الهدى قاموس مدرسي"، ونسيت أن الوصول إلى المعنى إنما يحصل بتحليل المعنى الوظيفي، مثل الصوتيات، والصرف، والنحو، ويحصل بعلاقات مبررة بين المفردات ومعانيها، كما اكتفت بذكر المعنى الواحد للكلمة، كما في "الأُمَّة" في قاموس "الهدى" (قلاتي، 1997، صفحة 20)، وقاموس "مرشد الطلاب" (مدرسي، دت، صفحة 25)، على الرغم من أن معاني كلمة "الأُمَّة" كثيرة، ووردت في القرآن الكريم بمعان متباينة، منها المدة والحين، والرجل الجامع لخصال الخير، والمذهب. وبذلك أُهْمِلَت السياقات التوضيحية في مثل هذه النماذج، وهو ما يكشف أن لكل لغة عبقريتها.

كما أن سمة الاختيار، التي تقوم عليها المعاجم والقواميس هي طريقة معروفة في المعجم العربي قبل أن تكون طريقة لسانية في النظرية اللسانية السوسيرية، وهو شكل يقوم على الاختيار بهدف الاختصار، وهو ما يناسب التحصيل المدرسي.

إن جملة هذه الملاحظات تكشف أن صناعة المعجم ترتبط بنظريات، ومقاربات، وتصورات لسانية، لا يرتقي فيها من لم يتحصّن بهذه الأساسيات.

3.4. مكانة هذه القواميس ووظيفتها:

إن هذه القواميس المقصودة بالدراسة نموذجها في المعاجم القديمة مختار الصحاح، ونموذجها في العصر الحديث هو المعجم الوجيز. (الرازي، 2007، صفحة المقدمة) وما تبعهما من قواميس حديثة في الوطن العربي سارت على نهجهما أو ابتعدت على هذا النهج، نذكر منها على سبيل المثال: الرّائد المدرسي معجم أبجدي مصور للمبتدئين عربي عربي، لجبران مسعود، دار العلم للملايين. و"زاد الطلاب" قاموس مصور بالألوان عربي عربي، دار الراتب الجامعية.

إن هذا النّوع من القواميس المدرسية المختارة، أحادي اللغة، وهي العربية، وهي تربط مستعمله بمجتمعه، وأمته، وفكره ومعارفه، وبها نزل الوحي، ومنه تأخذ موقعها بين اللغات الحيّة، لتصبح لغة حياة، وعمل، وتداول، وبناء نهضة. ويأتي الاهتمام بهذه النماذج من القواميس كرافد مُعِين في المدرسة الجزائرية يقدّم معلومات عن استعمال الكلمة من حيث النّطق "الصّوت"، والسّياق "النّحو"، والاشتقاق "الصّرف" إلى ما هنالك من سمات لغوية بحتة، يقدّمها المعجم اللغوي لخدمة الكفاية اللسانية، ويقف عند حدود الدال "الصوت"، والمدلول "المعنى والدلالة" (البركة، د ت، صفحة 177).

وهي حقائق تحصل بتحليل المعنى الوظيفي، أو بعلاقات مبررة بين المفردة ومعناها. صورة الشّق الأول تظهر في اشتقاق الألفاظ من خلال العودة بها إلى أصولها، وجمع شتاتها في اتساق النّص بحيث تستدعي كل علاقة وكل مثال ما يقابله. والشّق الثاني يظهر في التعابير الاصطلاحية، والتدريب على الخبرة بخبايا المعاني في اختلاف المقام، ومسألة التفاوت، ومراجعة المواطن التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها، واستعمالاتها، ومعانيها، ودلالتها، وبلاغتها في التعبير. وبناء نظام معالجة اللغة العربية لإدماج هذه المعارف في النظام متاح على مستوى الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة.

5. تقنيات المعجم والمعجميّة في ميدان التطبيق:

لقد جاء التصنيف لهذه المدونات بالمدى القائم على كثافة المداخل التي تقاس إما بالاتساع العرضي الذي يفوق 10000 مفردة في القواميس الاشتقاقية التي يفترض أن متوسط مشتقاتها أكثر من أربع كلمات، وهو ما يمثل الاتساع بالعمق المتمثل في ظلال المعاني والتعابير الاصطلاحية. ويقاس في المعاجم التي تعتمد نمط المعاجم الغربية بالكلمة المدخل من غير زيادة.

إن المداخل اللغوية في القواميس المختارة تشكّل الحياة الثقافية للمجتمع العربي لغة وحضارة، ومختلف تحولاتها الصّرفية، والنّحوية لأداء معنى داخل جمل، وتعابير دالة. وقراءة في العينة المختارة تكشف

كثرة الشاهد في "اللسان العربي الصغير" قاموس عربي، و"المنار قاموس مدرسي، عربي عربي، و"قاموس النجيب" القاموس المدرسي. "القاموس الجديد للطلاب" معجم عربي مدرسي ألفبائي. وقد جاء من القرآن، والحديث، والشعر والنثر، وتميز في هذه القواميس بمعيار الملاءمة بين التّعريف والسّياق من غير إطالة أو إخلال، ويحمل بين مفرداته الإيضاح، ويعطي فكرة عن استعمالات الكلمة في التراكيب المختلفة.

لقد راعت الشروحات في القواميس القائمة على الجذر التصنيفي بالجمع بين التزامني، والتاريخي، في مثل: "توتّر العصبُ: اشتد. وتوتّرت العلاقات بين الدولتيْن: ساءت. (مومني، 2008، صفحة 573) والمعلوم في هذا التصنيف أن نسبة "التوتّر" للعلاقات من سعة العربية الجديدة، وليس لنا مثل هذا أو ما يومئ إليه في أساليبنا العربية. (السامرائي، 1994، صفحة 112)

وإن الإجابة في هذا الأمر لا تقوم على الجاهز أو تحديد الدلالات على صورة التقريب، بل تتحرى الدقة، وحسن الضبط. ولغة الشّاهد في مدونة هذه القواميس المختارة في أغلبها شاهدة على زمانها، وعلى أزمنة مختلفة، أغنت القاموس بما هو مستعمل، ومتداول بمعانيه المختلفة، وفيها ربط للحاضر بالماضي، وتوسع في اختصاصات مختلفة.

أما في مسألة الترتيب، فقد تنوعت طريقة ترتيب المفردات في القواميس المختارة، بعضها يتبع طريقة الاشتقاق، مثلما نجده في "المنار" قاموس مدرسي، دار العلوم، و"قاموس النجيب" القاموس المدرسي، منشورات نوميديا. وبعض آخر يذكر إلى جانب الكلمة المشروحة جذرها كما في "مرشد الطلاب".

والنوع الثاني "يعتمد ترتيب المفردات حسب أحرفها الثلاثة الأولى على نمط معجم "لاروس" الفرنسي" وهو ما أشارت له مقدمة القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألفبائي، وسار على طريقه "مرشد الطلاب" قاموس مدرسي، و"اللسان الصغير" قاموس عربي. و"المفتاح" قاموس عَربي أبجدي مبسّط.

وقد توفر في هذه القواميس الترتيب بنوعيه؛ الترتيب الداخلي، والترتيب الخارجي؛ "ويعني به ترتيب الكلمات في المداخل بالمعجم وبالأحرى بنصه، وينقسم إلى قسمين: أ- الترتيب الخارجي، وهو المعروف والمشهور، وقد أطلق عليه ابن منظور في مقدمة "اللسان" الوضع مقابلة بالجمع في المدونة، والمراد منه كيفية ترتيب المداخل في المعجم عموما، وهو ما يظهر في المعجم العربي الذي جرب مناهج متعدد من الترتيب: الصوتي، الترتيب بأواخر الكلمات، الترتيب حسب المعاني أو المواضيع، الترتيب الألفبائي. ب- والترتيب الداخلي ويتعلق بالنص المعجمي" (الحمزاوي، 2004، صفحة 211، 212، 213، 384). وعلى

الرغم من قيمة المادة المعجمية لهذه القواميس إلا إننا نجد أن هذا النوع من التّرتيب، الذي يغفل اعتماد جذر الكلمة، ولا يحاكي إلا معجم لاروس، أشبه بمن يتبع طريقة الموضة على حساب الإبداع وعبقرية اللغة، فهو يهمل فلسفة تكوين اللّغة، في الوقت الذي لم تهمله النظريات اللسانية لذلك "حين ازدهرت نظرية النّحو التوليدي التحويلي، ثم قيل في سياق مرجعيتها أنها تمثل عودة إلى النّحو التقليدي لم يجد تشومسكي في أن يلتمس لها أصلا لدى "فون همبولت" في مقولته إن اللغة خلاقة، وأنّها تستعمل قواعد محدودة استعمالا غير محدود بل إن تشومسكي اعتدَّ نحوَ بانيني للسنسكريتية قطعة من النحو التحويلي. (محسب، 2009، صفحة 235) فما الذي يمنع أن ننهج نهج المعجم القديم في اعتماد طريقة الاشتقاق. وهذه المسائل كلّها يسهل حوسبتها، وإخضاعها للنمذجة، وتشكيل منها نماذج لمعاجم محوسبة.

6. ثمرة التأليف المعجمي في الجزائر:

وبهذه الخصوصية يكتسب التعريف مكانته المعجميّة. فهو يعرض فيه المدخل وترتيبه، والنص المعرف، وهو التعريف، الذي سماه القدامى الشرح والتفسير، والعناصر الآتية تمثل النص المعجمي في أي قاموس.

تحليل المعنى الوظيفي: "الصوتي، والصرفي، والنحوي":

وبناء على النص المعجمي لمادة "لَحِقَ" نجد أن هذه القواميس المختارة تلاءمت مع التنوع الذي يطلبه القاموس، يبرز فيها تحليل المعنى الوظيفي كما في الصوتيات من خلال نطق المدخل، وضبط حركته، ورسم حركات الحروف رسْماً كاملاً أو جزئياً. وفي المستوى الصّرفي يعمل المعجمي على رصد التحول في القوانين الصوتية كالمماثلة والإدغام، ومعلومات عن صيغة الفعل في الماضي، وضبط حركة حرف مضارعها "يَلْحَقُ"، وكل الكلمات المشتقة التي تكون عادة من علامات لغوية دنيا "معجمات"، و"صرفات"، أو ما يُوجده التصريف من صيغ للمثنى، والجمع في مقابلة المفرد. وفي التّعريف النحوي توفرت المعلومة عن المدخل، وصياغة الأفعال في الماضي، والمضارع، والمصدر. كما بدأ بالفعل قبل الاسم، فجاء ذكر "لَحِق" قبل "اللحق، والملحق".

وإذا كان الوصول إلى المعنى يحصل بتحليل المعنى الوظيفي كما في الصّوتيات والصّرف، والنّحو كذلك يحصل من خلال علاقات مبررة بين المفردات ومعانيها، تبرز في التّعريف الدلالي، والبلاغي، والمجازي، والأسلوبي. (مومني، 2017، صفحة 133، 134)

7. خاتمة:

وهكذا تحقّق من خلال مجموعة نصوص مكتوبة ومقولة أو مجموعة مراجع مختارة تمثّل مدوّنة هذه الكتابة، ووُضعت سندًا لوضع أسس معجم مؤلف أو قاموس في مقاربة منهجيّة الغاية ضُبط منها حدود الموضوع المدروس زمانًا، ومكانًا، وميدانًا، كما عبّر عنه ابن منظور في مقدّمة لسان العرب بمصطلح "الجمع" مع ملازمة "الوضع" على أساس أنهما قوام المعجم.

وكشفت هذه الصناعة على أنها:

- ✓ ترتبط بنظريات لسانية لا يمكن إغفالها. كما تعتمد مفاهيم، ومنهجيات، وتقنيات ومصطلحات تفرض على من يتصدى لصناعة المعجم أو القاموس أن يتزود بها.
- ✓ وأن بناء المعاجم الإلكترونيّة هو وليد التغيّرات الفكريّة، والتكنولوجيّة، والتجاريّة التي رافقت صناعة المعجم في العصر الحديث. وأنّه لا توجد فروقات جوهريّة بين مصنّف المعجم الأكاديميّ، والمصنّف التجاريّ، وبين صناعة المعاجم الصّرفة وفروع اللغويات، وبين تقاليد صناعة المعاجم القوميّة المختلفة، فضلا على أن المعاجم الحديثة صارت تمزج بين اللغوي والموسوعي، وأن التنفيذ العملي في ميدان التطبيق يسيطر فيه الناسخ الإلكتروني من جمع المادّة إلى الطباعة.

8. قائمة المراجع:

المؤلفات:

ابن منظور، جمال الدين، (د ت)، لسان العرب، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

بن هادية، علي، بن الحاج، الجيلالي، بليش، بلحسن، (1991)، القاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألفبائي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

ثابت، عبد الهادي، (2001)، اللسان العربي الصغير، قاموس عربي، دار الهداية، قسنطينة، الجزائر.

الحمزاوي، رشاد، (2004)، المعجمية مقدمة نظرية ومطبقة: مصطلحاتها ومفاهيمها، مركز النشر الجامعي.

الرازي، زَيْنِ الدِّينِ محمدِ بنِ أبي بكر بن عبد القادر، (2007)، مختار الصحاح، دار السلام، القاهرة.

السامرائي، إبراهيم، (1994)، من سعة العربية، دار الجيل، بيروت.

عمر، أحمد مختار، (2008)، صناعة المعجم، عالم الكتب، بيروت.

القاسمي، علي، (1991)، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

قاموس الجيب، القاموس المدرسي، عربي عربي، (د ت)، نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر.

قلاتي، إبراهيم، (1997)، "الهدى" قاموس مدرسي، دار الهدى، عين مليلة.

مجموعة مؤلفين، (2014)، نحو معجم تاريخي للغة العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

محسب، محي الدين، (2009)، من حوارات أسئلة اللّغة أسئلة اللسانيات، حافظ إسماعيلي علوي وليد أحمد العناني، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط.

مرشد الطلاب، (د ت)، قاموس مدرسي، عربي عربي، منشورات المرشد الجزائرية، برج الكيفان، الجزائر.

المعجم الوجيز، (1992)، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

المفتاح، (1996)، قاموس أبجدي مبسط، دار الأمة، برج الكيفان الجزائر.

مومني، عيسى، (2008)، المنار، قاموس لغوي، دار العلوم، الحجار، عنابة.

مومني، عيسى، (2017)، صناعة المعجم العربي الحديث؛ مفاهيم وتقنيات ومناهج، دار العلوم، عنابة، الجزائر.

ن، ي، كولنج، (2001)، الموسوعة اللغوية، المجلد الثالث، ترجمة محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.